بيـن يـديّ الكتـاب

طبع كتابنا: (الإمام تركي بن عبد الله)، قبل أعوام، وجاء منقوصاً . . لم تكمل فيه سيرة الإمام تركي. وهذا ما أوجب علينا أن **نبدأ كتابنا بمحاضرة ألقيناها في جامعة الملك عبد العزيز في جدة**، عن الإمام تركي، لأنه لا يجوز لنا أن نتحدث عن الإمام فيصل بن تركي، من غير التحدث عن والده الإمام تركي بن عبد الله، فبفضل الله ثم بجهد (تركي) وإقدامه وشجاعته وسياسته، تحررت نجد من سيطرة رجال (محمد علي) وأبنائه، الذين أذلوها وأفقروها وأمعنوا تقتيلاً وتعذيباً بأعيانه وعلمائها، ونهبوا الأموال وهدموا الدور والأسوار، واستباحوا المحرمات بوحشية لم يعرف التاريخ لها شبيهاً إلا في عهدي (هولاكو) و (جنكيز خان).

أعاد (تركي) للبلاد حريتها ووحدتها وكرامتها وعزتها ورخاءها، وبذلك أسس:

(الدولة السعودية الثانية)

. . وانتقل الملك من سلالة (عبد العزيز بن محمد بن سعود) إلى سلالة أخيه (عبد الله بن محمد بن سعود).

. . وانتقلت عاصمة البلاد من (الدرعية) إلى (الرياض).

محاضرة المؤلف في جامعة الملك عبد العزيز

سيرة بطلين عظيمين

الإمام تركي بن عبد الله والملك عبد العزيز

ألقى المؤلف محاضرةً عامة في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، وكان أستاذاً فيها، عن البطلين الإمام تركي بن عبد الله والملك عبد العزيز، وقدمه إلى المستمعين مدير الجامعة يومئذٍ معالي الدكتور عبد الله عمر ناصيف، قائلاً:

«معالي الدكتور منير العجلاني غني عن التعريف، فهو من رجالات سورية المشهورين، تولى فيها مناصب رفيعة جداً، ثم جاء المملكة، وقد تشرفت جامعتنا باختياره أستاذاً فيها، وسعدت وزارة التعليم العالي بما قدمه إليها من الخدمات.

وسيلقي علينا الآن محاضرة عن البطلين الإمام تركي بن عبد الله والملك عبد العزيز، الذي تفخر جامعتنا بحمل اسمه، وستكون محاضرة ممتعة إن شاء الله.

فليتفضل معالي الدكتور بإلقاء محاضرته».

* * *

سادتي..

سأقدم إليكم من سيرة البطلين الإمام تركي بن عبد الله والملك عبد العزيز آل سعود قبسة عجلان، ولن أرش على حديثي عنهما غبار أجنحة الفراش، ولا ألوان قوس قزح، لتكون روايتي زاهيةً مغرية، فكلا البطلين من الزعماء العباقرة، العمالقة، منحهما الله بسطةً في العقل وبسطةً في الجسم، وأمدهما بنعمة التوفيق، وسيرتهما لا تحتاج إلى من يزيدها ألقاً، فيلوِّنها ويشكِّلها بريشة فنان وأخيلة شاعر!

إنها واقع... ولكنه فوق الخيال!

سأبتدىء بالكلام عن الملك عبد العزيز وبإيجاز، لأنه معروف جداً، وأما تركي، فمجهول جداً.. ولذلك سأطيل الحديث عنه.

كثيرون يشبِّهون الملك عبد العزيز بجده الإمام فيصل بن تركي، والواقع أن

عبد العزيز يشبه (تركيًا) أكثر مما يشبه فيصلاً.

يقول خالد الفرج:

«لـم يـذكـر الـتـاريـخ إلاّ جـده «تـركـي» مـن شـبـه لـه ومـثـيـل»

سـادتـي..

الحديث عن الملك عبد العزيز حديث عن أعظم بطل في تاريخ الجزيرة العربية الحديث. ولن نستطيع الإحاطة ببطولته في خطاب.. فحسبنا كلمات نشير فيها إلى جوانب من شخصيته.

عبد العزيز هو الذي حرَّر البلاد ووحَّدها باسم: (المملكة العربية السعودية).

وهو الذي وضع فيها أسس التحضير والتحديث والنهضة، وسار بها قدماً في طريق القوة والعزة والمجد.

كان زعيماً عبقريًا ملهماً، ورجل دولة من الطراز الأول، يحسن القيادة، ويتقن الريادة.

كان شجاعاً في غير تهور، وسياسيًا في غير خنوع.

كان وطنيًا، ولكنه لم يكن «إقليميًا»، وإنما كان عربيًا متفتحاً، يرحب بكل عربي يقدم على بلاده للعمل أو الإقامة، هرباً بدينه أو كرامته من الظلم، وكان يعتبره واحداً من عشيرته.

كان ملكاً تهابه الملوك، ولكنه كان متواضعاً، يستطيع كل إنسان أن يجالسه ويكلمه في حاجته، وكان للعلماء والمفكرين والمناضلين العرب منزلة خاصة في نفسه، يقدِّرهم ويكرِّمهم ويبرُّهم ويقرِّبهم من مجلسه ويتفقَّد أحوالهم ويزورهم في دورهم، متجاوزاً حدود المراسم الملكية (البروتوكول).

وبالجملة، كان حقاً زعيم العرب وملكهم وأباهم الروحي، يدافع عن قضاياهم وينصرهم في الشدة والضيق.

كان كريماً، وكرمه شيء لم ترو لنا حتى الأساطير مثيلاً له، وفيه يصح قول الشاعر:

«تـراه إذا مـا جـئـتـه مـتـهـلـلاً كـأنـك تـعـطـيـه الـذي أنـت سـائـلـه»

كان الملك عبد العزيز يجمع القوة إلى التقوى، والحكمة إلى المضاء،

والشجاعة إلى الدهاء، وكان لا يُخَيَّر بين أمرين: بين الله وبين غيره، إلاّ اختار الأمر الذي فيه مرضاة الله. .

أرضى الله، فأرضاه الله.

وقد قال يوماً، وهو يتأمل حسن صنيع الله معه:

«إذا عمل أبنائي كما عملت، فسوف يضمون تحت لواء التوحيد مئة مليون مسلم».

قال هذا قبل ظهور النفط وتدفق الأموال. .

ولكنه الإيمان والصبر والشجاعة والعبقرية: كل أولئك كان يصنع له، بتوفيق الله: النصر والمجد ويجمع القلوب حوله.

وحَّدَ وحرَّر.

وطَوَّرَ وحَضَّر.

وكان في الحرب بطلاً عظيماً،

وفي السلم معاهداً كريماً،

وفي قيادته لشعبه على دروب النهضة رائداً حكيماً.

كان مسلماً، نيِّرَ الفكرة، خَيِّر العاطفة، شديد التمسك بدينه، شديد الاعتزاز بعروبته، ولذلك أدرك أن عزة قومه تتحقق في قبول ما صنعته الحضارة الحديثة من أسباب القوة والتقدم، لا في رفضها، لأن الإسلام، وهو أحدث الديانات وأكثرها تكريماً للعقل، هو دين الأقوياء لا دين الضعفاء المتخاذلين، دعاة التخلف والتحجر!.

. . وكما حارب أبو بكر مانعي الزكاة، هكذا حارب عبد العزيز مانعي التقدم، الذين أرادوا باسم الدين ـ والدين براء مما يزعمون ـ أن تعيش الأمة على هامش العصر، فلا تستعمل الطائرات ولا السيارات ولا الهاتف، ولا شيئاً مما أحدثه العقل البشري من مظاهر الرقي والقوة والحضارة.

كانوا يريدون أن يشدُّوا الإنسان العربي المسلم إلى العصر الحجري. . فأطلقه عبد العزيز في رحاب القرن العشرين: مسلماً قويًا، غير متزمت ولا متحجر!.

والمملكة تمضي على السياسة الدينية الواعية، التي عمل بها مؤسسها العظيم، لا تفرِّط في شيء من مبادىء الإسلام القويمة، ولكنها ترفض تحريم ما أباحه الشرع وأحلَّه، وتعلم أن مكتسبات الحضارة، في جانبها الصناعي «التكنولوجي» هي من أسباب القوة، والإسلام قوي، ولذلك قبلتها بل أقبلت عليها.

تركي وعبد العزيز

تركي وعبد العزيز يتشابهان:

أولاً: في البطولة الخارقة، فقد كانت حياتهما سلسلة من المعارك والملاحم، وكانا يخوضانها بشجاعة نادرة ويحققان فيها انتصارات باهرة.

ثانياً: بظهورهما في فترة انهيار وضياع، فتركي وجد الترك مسيطرين على البلاد، يذلُّون أبناءها وينهبون أموالها ويدمرون بنيانها، فطردهم وطهَّر البلاد منهم وأسس:

(الدولة السعودية الثانية)

. . . وعبد العزيز كان يعيش لاجئاً في الكويت، مع أبيه الإمام عبد الرحمن، بعد استيلاء ابن الرشيد على الرياض، وانهيار الدولة السعودية الثانية، فقام بفتح الرياض وتقويتها وإحكام أسوارها، ثم حارب وناضل حتى تمَّ له ما لم يتم لأحد قبله، فأنشأ:

(المملكة العربية السعودية)

التي تمتدُّ حدودها من الخليج إلى البحر الأحمر، في رقعة تمثل ثمانية أعشار الجزيرة العربية، بل أكثر.

ثالثاً: يتشابه تركي وعبد العزيز في الطباع والأخلاق، فكلاهما متواضع، محب لرعاياه، مبالغ في السهر على راحتهم وأمنهم ومعيشتهم، وكلاهما مفرط في الكرم، وكلاهما عبقري توسعت ثقافته بمجالسة العلماء والأدباء والشعراء.

رابعاً: كانت ولاية تركي إيذاناً بانتقال الملك من أولاد عبد العزيز بن محمد ابن سعود إلى أولاد أخيه عبد الله بن محمد بن سعود.

وبقي الملك في سلالة تركي: في ابنه فيصل وأولاده من بعده.

وقد أراد عبد العزيز أن يبقى الملك لأبيه عبد الرحمن، ولكن الإمام عبد الرحمن أبى إلا أن يكون الملك لابنه عبد العزيز.

وبذلك بقي الملك في أبناء عبد العزيز.

النفط.. ونهضة المملكة

يظن بعض الناس أن نهضة المملكة وليدة النفط . . الذي يتدفق من ينبوع لا ينفد ، ويباع بأسعار عالية ، وبأموال النفط عُبّدت الطرق وأنشئت المطارات وشيدت المباني وأقيمت الجامعات ، واستقدم الخبراء والعلماء والأساتذة من بلاد الدنيا كلها ليخدموا في المملكة ، وأُرسلت البعوث إلى الغرب والشرق لطلب العلم والخبرة . إلى أشياء كثيرة تنسب إلى النفط . .

كانوا قديماً يقولون عن النفط إنه مستعمر الشعوب ، ولكنهم اليوم يصفونه بأنه محرر الشعوب وسر نهضتها وعمرانها!

ويزعم بعض الغربيين أن المملكة العربية السعودية لولا النفط لكانت في حال لا توصف من الفقر والتخلف . .

هذه الدعوى باطلة جملة وتفصيلاً! . .

فعبد العزيز لم يكن مديناً بشهرته العريضة في العالم إلى الثراء والنفط . . وقد بلغ القمة وفعل أفعال الأبطال العمالقة وملأ الدنيا وشغل الناس قبل ظهور النفط .

ولكن الله سبحانه أمدَّ في حياته ليكون هو الرائد في مشروع استنباط البترول كما كان رائداً في كثير من مناحي الحياة . .

. . وهذا النفط ، الذي أعطى نهضة المملكة زخماً قويًا : أين وُجِد؟ ومَن رعاه ، وحماه للمملكة؟

. . . إنه الملك عبد العزيز .

مصـرع الإمـام تركـي

أسـد الـغـاب، أيـن مـنـه الـغـابُ؟ فـلـقـد ضـرَّجَ الـعـريـنَ الـذئـابُ!
جـاءه فـي (الـقـطـيـف) نـعـي الـذي عَـزَّ، فـعـزّت فـي ظـلـه الأقـطـابُ
ومـشـى (فـيـصـل) إلـى الـقـصـر فـاسـتـعـصـت بـروج وعُـوِّذت أبـوابُ
حسب الغاصب الدخيل (مشاري) أن ستجدي مجنَّة وعقابُ[1]

بولس سلامة

(ملحمة عيد الرياض)

---

(١) المجنة كل ما وقاك من السلاح، كالترس وقميص الزرد، والعقاب جمع عَقَبة.

مشـاري بـن سعـود

استقدمه الإمام تركي من مصر وكَرَّمَه وأَمَّرَه! . .
ولكن «مشاري» وأعوانه ائتمروا بتركي وقتلوه!

كان الأمير مشاري بن سعود، بين الأشخاص الذين نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر؛ وطابت له الإقامة هناك . .

ولكن الإمام تركي كتب إليه يحضُّه على العودة إلى نجد، ولعلَّ القصيدة الرائية التي بعث بها تركي إلى ابن أخته (مشاري) تعبر أجمل تعبير عن محبة تركي لمشاري، وكراهيته أن يبقى في مصر كأنه مملوك للترك، شبعان من الذل وعار من العز، وما فائدة لبس الحرير وتاج الذهب مع الذلُ؟

عاد مشاري إلى نجد، فاستقبله الإمام تركي استقبالاً حاراً، وبالغ في تكريمه.

ويقول ابن بشر إن الإمام أنعم عليه أحسن الإنعام، فأعطاه خيلاً وركاباً وزوَّده بسلاح وأمتعة من الأكسية والفرش وغيرها، واستعمله أميراً في بلد منفوحة.

مشاري يأتمر بتركي:

ولكن مشاري لم يرضِه كل هذا التكريم، وانطلق مع جماعة العاملين والمستخدمين في إمارته يأتمرون بتركي ليقتلوه، وليتولى مشاري مكانه.

وبلغ ذلك الإمام تركي، فلم يشأ أن يبطش به وبالمتآمرين معه، واكتفى بإقصائه عن إمارة منفوحة، واستمر في تكريمه. ولما خرج تركي إلى (الشمال) غازياً انتهز مشاري الفرصة لتحقيق مؤامرته.

مصرع الإمام تركي في رواية ابن بشر:

قال ابن بشر:

«عزم مشاري على إظهار ما أبطن، وجرد سيفه لإثارة الفتن، وذلك بمساعدة

رجال أسافل، من الخدم الأراذل. وقد تواعدوا عليه بعد صلاة الجمعة إذا خرج من المسجد، فلما صلى الجمعة وصلى سنتها التي بعدها، خرج على عادته من الباب الذي جنوب المحراب. . . فوقف له البغاة عند الدكاكين، بين القصر والمسجد، وبيده مكتوب يقرأه، وفي جنبه رجل على يساره، فاعترضه منهم عبدٌ خادم لهم يقال له إبراهيم بن حمزة بن منصور، فأدخل «الطبنجة» مع كمه وهو غافل، فثوّرها فيه فخرَّ صريعاً!.

مشاري يستولي على القصر:

خرج مشاري من المسجد، فشهر سيفه وتهدَّد الناس وتوعَّدهم، وشهر ناس سيوفهم معه، فبُهتَ الناس، وعلموا أن الأمر قد تشاوروا فيه وقُضي بليل. .

ورأى (زويِّد)، مملوك تركي المخلص له، هذا المشهد الفاجع، فاستغاث بالحاضرين فلم ينجده أحد، فهرب إلى القصر، فأخذوه وحبسوه.

ثم نقلوا جثمان الإمام تركي إلى بيت زويد وجهزوه وصلى عليه المسلمون. بعد صلاة العصر، ودفن في مقبرة الرياض، في آخر ساعة من يوم الجمعة، آخر ذي الحجة سنة ١٢٤٩ هـ.

ثم أمر مشاري بإخراج نساء تركي وعياله ونساء فيصل وعياله من القصر «واستولى على جميع خزائن الذهب والفضة والسلاح والخيل والعمانيات وغير ذلك، وفرق السلاح على الرجال وبثَّ شيئاً كثيراً من الدراهم والكسوة وبايعه أهل البلدان وهم في بلدانهم».

الثأر واستعادة الملك:

فيصل تلقى نبأ اغتيال أبيه وهو في القطيف . . فخطب الناس وذكَّرهم بجهاد تركي وسهره على راحتهم وسعادتهم حتى بكوا وعاهدوه على الطاعة وساروا معه لقتال مشاري.

استطاع زويد الهرب من الرياض إلى القطيف، حيث وافى الأمير فيصل وأبلغه مقتل أبيه. . فأخفى الأمير هذا النبأ عن الناس، ورحل إلى الأحساء مع جماعة من مقاتلته وأنصاره من كبار القوم ورئيس الجبل عبد الله بن علي بن رشيد، ورؤساء بريدة والحريق وسدير وغيرهم. .

فأرسل فيصل وأحضرهم عنده . . ومعهم عمر بن عفيصان، فأخبرهم بالأمر وأبدى لهم أنه لا بدَّ من أخذ الثأر، وأن يضرم عليهم نار الحرب، لا يقر له عن ذلك قرار، وذاكرهم وذَكَّرهم وأكثر من تعظيم هذا الأمر عندهم.

فلما سمعوا كلامه، بكى كل واحد من أولئك الجماعة وغضبوا له وقاموا كلهم وبايعوه على السمع والطاعة، فكانت بإذن الله كلمة مجتمعة على السير والحرب معه.

ثم رحل من الأحساء بجنوده، ورفع راياته وبنوده، وأعمى الله أخباره على الباغين . .

فلما كان ليلة الثلاثاء ١٩ محرم نزل قريباً من بلد الرياض، وثوَّروا من البارود حتى كان له رعد عظيم وانقضاض، ومع ذلك فالباغي لا يسمعه ولا يشعر به . .

ثم أمر على من كان معه من أهل الرياض أن يدخلوا البلد في الليل، ويمسكوا البروج والبيوت المقابلة للقصر، فلما رآهم أهل البروج وعرفوهم سكتوا عنهم وأدخلوهم فرحين . .

ولمَّا كان بعد صلاة الصبح، ركب فيصل من مكانه بالمسلمين ودخل الرياض ونزل بيت زويد، وفرق المسلمين في البيوت وفي بروج البلد، وشبَّ الحرب على من في القصر، وكان الذي فيه مع مشاري ١٤٠ رجلاً، وتابع الحرب عليهم بالليل والنهار ورماهم بالمدافع الكبار من كل الجهات . .

وفي ليلة ٩ صفر نزل من القصر رجال من سبيع، وأخبروا أنهم تخاذلوا والرعب والهلع حلاً في قلوبهم، وأتى رجال من أعيانهم إلى (سويد) وطلبوا أن يأخذ لهم أماناً من فيصل . . وفي ١١ صفر أرسل سويد إلى فيصل وطلب منه الأمان على نفسه وماله ومن كان عنده في القصر من الرجال، سوى من باشر قتل الإمام أو ساعد على قتله.

فشاور الإمام فيصل رؤساء المسلمين، فأشاروا عليه أن يعطيهم الأمان، لأجل ما في القصر من المال والخزانات، فأعطاهم الأمان، فصعدوا القصر ورموا لهم الحبال، فصعدوا في القصر وهم أربعون من الرجال مع عبد الله بن علي بن رشيد، رئيس جبل شمر وغيره، فنزلوا في وسط القصر وقصدوا مشاري وأعوانه في مكانهم فقتلوهم، وهم ستة رجال، وأخرجوا جسد مشاري ورأسه خارج القصر ليُعرف ويُنظر إليه . .

رواية ابن سيف لمقتل مشاري:

يصف الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف، في رسالته إلى ابن بشر مصرع (مشاري)، الذي كان متحصناً مع جماعته في القصر على النحو الآتي:

«يوم الثلاثاء ٩ صفر نزل متخفيًا، من القصر اثنان أو ثلاثة.

ويوم الأربعاء نزل أحد عشر شخصاً، فلما رأوا الحال - يعني قوة المحصرين للقصر - زاد ما بهم من الرعب حتى ظن كلٌ منهم أنه هالك، فلما جُنَّ الليل ... من ليلة الخميس، أخذ (سويد) الأمان على من في القصر، سوى من قتل أو ... أو مالأ على قتل الإمام..».

وهكذا استسلم الجند الذين كانوا مع مشاري وانقلبوا عليه.. وأصعدوا عدداً من جنود الإمام فيصل، فقتلوا نفراً من أصحاب مشاري كانوا معه، ثم توجهوا إليه. فلما أثخنوه بالجراح تخبأ في بيت درجة، وطلب مواجهة ابن عمه (فيصل) فأبوا عليه، ثم طلب شربة ماء، فلم يجيبوا إليه، فخرج عليهم مصروعاً بالبغي. فأحجوا فيه الملح والرصاص، وأخذوا الثأر واستوفوا بالبيض القصاص.. وجملة من قتل معه وبعده ستة رجال.

.. ونزل فيصل القصر، واجتمع المسلمون عليه».

ندرة مطران يصف معركة القصر وما بعدها..:

قال ندرة مطران، في كتابه «سورية الغد» الموضوع باللغة الفرنسية La Syrie de demain» يصف معركة القصر، بين رجال الإمام فيصل وأعوان مشاري، ما ترجمته:

«كان بين حاشية فيصل: شمري نبيل، هو عبد الله بن الرشيد، الذي أخفق في استعادة «حايل» من «آل علي»، فعرض خدماته على فيصل.

استشار فيصل صاحبه ابن الرشيد عمَّا يجب أن يفعله، بعد مصرع أبيه: أيتابع حربه في الأحساء، أم يعود إلى الرياض لمعاقبة مشاري؟

فأشار عليه ابن الرشيد بالعودة فوراً، حتى لا يتسع الوقت أمام مشاري لجمع جنود كثيرة.

اتبع فيصل هذا الرأي، ووصل الرياض، ودخلها بسهولة، ولكنه وجد مشاري متحصناً في القصر، ذي الجدران الكثيفة، والأبواب الحديدية، وكانت فيه خزينة

الدولة وإضباراتها وأوراقها، كما كانت فيه أسلحة وذخائر كثيرة ومؤن وفيرة، وقد حاول فيصل اقتحامه بضربه بالمدافع، ولكنه عجز عن ذلك، فقرَّر الاستمرار في الحصار، وعندئذٍ تقدم ابن الرشيد، مستعداً للمغامرة بحياته، من القصر. واصطحب معه رجلين، واستطاع اجتذاب الحارس وإغراءه، ففتح له الباب، وسار بهدوء في جنح الظلام نحو حجرة مشاري، ولما استعصى عليه فتح بابها، ضرب قفلها ضربة قوية فسقط وانفتح الباب.

كان مشاري نائماً، وعلى مخدته مسدسان، فلما أيقظته الضجة، وثب من فراشه وأخذ سلاحه وأطلق نيرانه على الأشباح الثلاثة التي دخلت غرفته، فقتل واحداً من صاحبي ابن الرشيد، وجرح الثاني، أما ابن الرشيد فشهر سيفه وبدأ بين الرجلين صراع عنيف، وكان مشاري يقبض بشدة على ذراع ابن الرشيد ويحاول انتزاع سيفه من يده، وخلال ذلك استطاع رفيق ابن الرشيد الجريح أن يستجمع قوته ويمسك بذراع مشاري، فأفلت منه ابن الرشيد وطعن مشاري في صدره عدة طعنات، سقط على أثرها قتيلاً، ثم قطع رأسه، وحمله إلى فيصل الذي كان ينتظر بقلق...

... استولى فيصل على القصر، وتمت البيعة له..

وقد كافأ ابن الرشيد على هذه الخدمة بأن جعله نائباً عنه، أي سيداً على عشائر شمر، وكذلك أولاده من بعده».

قال أمين الريحاني، في كتابه «نجد وملحقاته» يصف معركة القصر:

يوم قتل الإمام تركي، كان ابنه فيصل في القطيف ومعه جنوده من قبائل شتى، فلما جاء يثأر لأبيه ودنا من الرياض خرج إليه وفد من المدينة يطلب منه ألاّ يأذن بالدخول إليها غير أهلها من الجنود، لأنه إذا هجم عليها النجديون من غير الرياض قد يقاومهم الأهالي ليمنعوهم من احتلالها، فيحدث قتال في المدينة، فتولد المحنة محنة ثانية أشد من الأولى.

وكان مع فيصل رجل يدعى عبد الله بن الرشيد طرده من حائل أمراؤها يومذاك آل علي، فلاذ بآل سعود، فلما همَّ الجنود أبناء الرياض بالدخول إلى المدينة استفزت الحمية عبد الله فاستأذن فيصلاً بأن يكون معهم فأذن له فدخلوا الرياض بدون قتال، لأن أهلها كانوا من حزب تركي، وهجموا على القصر الذي تحصن فيه مشاري (وكان قصر دهام بن دواس سابقاً)، أما عبد الله ابن الرشيد فقد سبق

المهاجمين إلى «مفتول» (برج) من مفاتيل القصر، فرأى فيه رجلاً اسمه سوَيْد، كان أميراً في جلاجل بسدير، وكان قد جاء يسلم على الإمام تركي دون أن يعلم بما حلَّ به، فرحب به مشاري وأنزله ذلك البرج في القصر.

قال عبد الله يخاطب سويِّداً: ما دخلك أنت بآل سعود؟

- وما دخلك أنت بآل سعود؟

فأجابه سويد: إني مغصوب!

فقال عبد الله: إذا جئتك بالأمان من فيصل، أترمي لنا حبلاً لنصعد إلى القصر؟

فقال سويد: إني من رجال تركي، وسأساعدكم بشرط أن يعطيني فيصل الأمان ويهبني نخل الداهنة.

فتواثق الرجلان، ورمى سويد بحبل فصعد ابن الرشيد إلى القصر وصعد وراءه عشرون من جنود فيصل، فتصادموا ورجال مشاري وتجالدوا، فجرح عبد الله في يده جرحاً بليغاً شوَّهها، ولكنه ورجال فيصل استولوا على القصر وحاقوا بمشاري ومن معه فقتلوهم.